

التغير الدلالي عند الأصوليين وأثره على الأحكام

أ.م.د. عبدالرحمن صالح لطيف
جامعة الفلوجة - كلية القانون

The semantic change of the fundamentalists and its impact
on the rulings

Dr.abdulrahman salih lateef

Dr.abdulrahaman-sa-law@uofallujah.edu.iq

إن اللغة في تطور لمواكبة مستجدات كل عصر، فهي تنشأ وتنمو وتتطور، كونها ظاهرة اجتماعية تستمد كيانها منه، حيث تتطور بتطور المجتمع، وتتحسر عن أداء كفاءتها بانحساره؛ لذا فإن اختلاف البيئة يعد من العوامل المهمة في تغير الدلالة، حيث إن اللهجات الفصحى وإن كانت مختلفة فيها ما يدل على تغير استعمال اللفظ وفق البيئة والنشأة، وهذه الدراسة لتتبع أثر هذا التغير على الأحكام. (دراسة أصولية لغوية لتتبع أثر التغير الدلالي على الأحكام).

research in English Summary

Language is evolving to keep pace with the developments of each era, as it arises, grows and develops, being a social phenomenon that derives its entity from it, as it develops with the development of society, and declines in its efficiency performance with its decline.

(A fundamental linguistic study to trace the impact of semantic change on judgments).

المقدمة

الحمد لله الذي من توكل عليه بصدق نية كفاه، ومن تقرب إليه باتباع شريعته قربه وأدناه ومن سأله بخالص أذعيته أجابه ولباه، أحمدته حمداً لا بلوغ لمنتهاه، واشكره شكر عبد طلب من ربه رضاه، واشهد أن لا إله إلا الله شهادة تتجي قائلها من عذاب الله، واشهد أن محمداً عبده ورسوله مدحه الله بقرانه وأكرم مثواه. إن اللغة في تطور لمواكبة مستجدات كل عصر، فهي تنشأ وتنمو وتتطور، كونها ظاهرة اجتماعية تستمد كيانها منه حيث تتطور بتطور المجتمع، وتتحسر عن أداء كفاءتها بانحساره. فاختلاف البيئة يعد من العوامل المهمة في تغير الدلالة حيث إن اللهجات العربية وإن كانت تقع ضمن الإطار العام لخصائص العربية الفصحى، إلا أنها مختلفة بين لهجاتها، وهو ما يدل على تغير استعمال اللفظ وفق البيئة والنشأة، حيث انتقال اللفظ من النقش المرسوم إلى الحروف المعبرة بألفاظها عن معاني معينة، تعارف الناطقون على دلالاتها فيما بينهم، وقد انتقلت تلك الدلالات من معنى إلى آخر فجعلت من الألفاظ ما هو متغير الدلالة في معناه. والذي حملني على البحث في التغير الدلالي للألفاظ، أهميته التي يمكن من خلالها إيجاد محددات المعاني التي تشكل على أصحابها، وللوقوف على ماهية هذا التغير عند الأصوليين، وتأثيره على بناء الأحكام لما له من الأهمية في معالجة مستجدات الألفاظ من معان تلحقها، فنتغير أحكام وتثبت أخرى تتاسب العصر، بناءً على ما تركه لنا علماء الأصول واللغة من الكم المعلوماتي المتعلق في توظيف لفظ بشقيه الصوتي والدلالي، ودراسة ما يحيطه من معان، للترجيح وبيان المراد.

المبحث الأول تعريف التغير الدلالي

أهتم اللغويون والأصوليون بدراسة كثير من مباحث الدلالة من بينها التغير الدلالي للألفاظ، لتحديد المعنى المقصود من خلال استقرار الأساليب التي سبق اللفظ للدلالة على معاني متغيرة في حقب زمنية متباعدة، حيث أن تحديد المعنى بمثابة معرفة الحكم^(١)، فهو وإن لم يطلق عليه مصطلح التغير الدلالي لأنه مصطلح اصطلاح عليه بعض المتأخرين من علماء اللغة الذين درسوا التغير الدلالي مصطلحاً، حيث شملت الدراسة أسبابه وخصائصه وأشكاله ومظاهره^(٢). إن استعمال مصطلح التغير الدلالي دون استعمال مصطلح التطور الدلالي، لمنع تصور ما يتضمنه لفظ التطور من دلالة هامشية على التقدم والارتقاء^(٣). وقد شبه بعض اللغويين التغير الدلالي: بأنه اكتساب اللفظ معاني جديدة لم تستعمل من قبل كالشجرة تنبت فروعاً جديدة قد يستغنى بها عن القديمة، فهي ليست على الإطلاق في كل لفظ بل إن الكثير من المعاني السابقة حافظت على وجودها قروناً على الرغم من نمو معاني جديدة لاحقة^(٤). إن التغير الدلالي شائع في جميع اللغات يميزه كل دارس لأطوار اللغة ومراحلها التاريخية، واللغة العربية ن بين تلك اللغات التي خضعت للتغير الدلالي عبر تاريخها الطويل، حيث تناولت المعاجم اللغوية جملة من المعاني لفظ استعمال كل معنا منها ما ناسب الحقبة الزمنية التي استعمل فيها^(٥). فدلالة الألفاظ على مدلولاتها ليست نابعة من ذات اللفظ فقط إنما هي وفقاً للاستخدام حيث تتغير تبعاً للزمان والمكان والذات والسياق، فالتغير الدلالي يستمد قوته من تجدد المعنى المرافق للفظ الذي لا يمكن وقفه بالمطلق^(٦). إن اللفظ لم يخلق ليحبس في خزائن لكي يراه الناس ثم يكتبون بتلك الرؤيا العابرة، ولو كان كذلك لبقى على حاله جيلاً بعد جيل من دون تغير أو تحول، فهو وجد ليتداوله الناس بناء على مقضى الحاجة في حياتهم الاجتماعية، كما يتبادلون السلع إلا أن تبادلها يكون عن طريق الأذهان مع تباين بين أفراد الجيل الواحد والبيئة الواحدة في التجربة والذكاء، حيث تتشكل الدلالة وتتكيف تبعاً لها، فاللغة بمثابة كائن حي تخضع لما يخضع له من حيث النشأة والنمو والتطور، كونها ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانها من عاداته وتقاليده وسلوك أفرادها^(٧). فعندما ينشأ اللفظ ويوضع لمعنى معين عنها يبدأ رحلة حياته فتمر عليه تغيرات كثيرة قد تؤدي إلى انتقاله من معناه الذي وضع له إلى معنى آخر، حيث أن اللفظ يحيى حياة متجددة وهو ابدأ في تغير في دلالاته، وفي طرق

استعماله^(٨). فمفهوم التغير الدلالي: هو انتقال معنى اللفظ من الوضع إلى معنى أو معان جديدة؛ لأسباب لغوية وشرعية وتاريخية وثقافية واجتماعية، فيكون اللفظ أكثر مرونة وأشمل دلالة. إن أهم الظواهر اللغوية ترجع إلى ناحيتين رئيسيتين متمثلتين بالجانبين الصوتي والدلالي، وهما في تطور وتغير دائمين، تبعاً لعوامل الزمان والمكان والذات، ونسبة كبيرة من القوانين العرفية واللغوية^(٩).

المبحث الثاني أنواع وأشكال التغير الدلالي

لا بد من لمحة تبين بعض أنواع وأشكال التغير الدلالي، مع التدعيم بالتطبيقات التي اعترت بعض الألفاظ، لتؤثر في بناء الحكم بناء على تغير دلالة اللفظ عما كانت عليه في الأصل. وللتغير الدلالي أنواع وأشكال بحثها علماء الأصول ومن ذلك ما يعرف عندهم بقرائن تخصيص العام أو ادلته فيكون شيوع استعمال العام قاصراً على بعض أفرادها فيتغير مدلول الكلمة وهو التخصيص الشائع من المجتمع الناطق باللغة ويسميه الأصوليون بالحقيقة العرفية، كذلك التخصيص بطريق الشرع المسمى بالحقيقة الشرعية، فيكون نقل المعنى من لغوي إلى شرعي أو إلى عرفي، حيث الترابط الوثيق بين الحقيقة والمجاز والتغير الدلالي^(١٠). ويمكن تلخيص أنواع وأشكال التغير الدلالي بالتالي:

١. **تضييق المعنى:** وهو تحويل دلالة اللفظ من المعنى العام الواسع الكلي إلى المعنى الخاص الضيق الجزئي ويكون بإضافة الملامح التمييزية إلى اللفظ، حيث ان تضييق المعنى ظاهرة عامة في اشهر اللغات ويعد الأكثر في اللغات من التوسيع، وقد أولاه الأصوليون البحث التدقيق للوقوف على مزاياه وهو ما يقرره أهل اللغة أيضاً^(١١). ويمكن تسميته بتخصيص الدلالة وهو تضييق مجال الدلالة وصرافها عن الكلية إلى الجزئية، فتحدد معاني اللفظ وتقتصر على بعض أفرادها، الأمر الذي حضي بعناية فائقة في سبر غور معاني الألفاظ^(١٢). ومثال ذلك لفظ الصلاة فهو في اللغة بمعنى الدعاء والثناء ثم خصصه وضيق معناه ليدل على الصلاة وفق الاصطلاح الشرعي بزيادة أقوال وأفعال مخصوصة تبدأ بتكبيرة الإحرام وتنتهي بالتسليم^(١٣)، كذلك لفظ الزكاة ففي اللغة معناه النماء والزيادة^(١٤)، وفي الشرع معناه الفريضة فيما بلغ نصاباً من الأثمان والنقود وعروض التجارة. ومثاله أيضاً لفظ الدابة حيث وضع في اللغة على كل ما دب على الأرض، ثم قصر معناه على عند أهل مصر، وعلى الفرس عند أهل العراق^(١٥)، كذلك لفظ الصرف^(١٦)، وهو في العملة الورقية أو المعدنية، ففي اللغة فضل بعضها على بعض في القيمة، وينبئ عن معنى القبض والتسليم، فزيد عليه في الشرع ثبوت الملك فأعتبر الأمران جميعاً^(١٧). ومنها لفظ العضل الذي يعني في الأصل المنع بشدة وكراهة، ثم اقتصر معناه على تضييق الزوج على زوجته لياخذ مالها بالمخالعة، حيث جاء النهي بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾^(١٨)، كذلك لفظ النساء من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾^(١٩)، حيث نقل هذا اللفظ في عرف الشرع إلى معنى الحرائر المباحة دون الإماء، فلو لم يكن منقولاً لوجب التخصيص بذوات المحارم فإنهن من نساء المظاهر^(٢٠). ونلاحظ أن معاني الألفاظ قد ضيقت عن طريق إضافة بعض الملامح التمييزية إلى الألفاظ، حيث انتقل المعنى من الشمول العام إلى الشمول الخاص وفق المعاني الشرعية التي غلب استعمالها للفظ، حيث اختصت بعض الألفاظ ببعض العلوم بعد أن كانت تعني الفهم والعلم مطلقاً، كما في لفظ الطب الذي اختص بالدلالة على معرفة مزاج الإنسان وصحته، بعد أن كان يعني مطلق المعرفة^(٢١).

٢. **توسيع المعنى:** وهو تعدد استعمالات اللفظ لتعدد معانيه المستجدة فكلما قلت الملامح التمييزية للفظ زاد عدد أفرادها؛ لأن العلاقة بين اللفظ وبين ملامحه التمييزية علاقة عكسية، وكلما زاد عدد ما يشير إليه اللفظ أصبح مجال استعمالها أوسع، فتعم الدلالة ويكون عدد ما تشير إليه الكلمة من معاني أكثر من السابق، حيث ينتقل المعنى من الخصوص إلى العموم فيكون المعنى العام هو المتبادر من اللفظ عند إطلاقه^(٢٢). إن كثرة استعمال اللفظ الخاص في معان عامة يعد من طرق التوسع في توظيف معنى اللفظ، الأمر الذي يؤدي إلى إزالة معنى الخصوص لينتقل إلى العموم، حيث أن توسيع المعنى له من الأهمية مثل تضييقه، وإعمام الدلالات أقل شيوعاً من تخصيصها، وأقل أثراً في تطور الدلالات وتغيرها، إذا ما قورنت بالتخصيص^(٢٣). وقد بحث علماء الأصول هذا وصرحوا به وظهر جلياً في التطبيق العملي في البحث والدراسة، كما في تعميم الخاص في الاستعمالات الشرعية وهو اتجاه غير مألوف في تغير المعنى فهم يرون أن الخطاب الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يدل على سائر الأمة من حيث العرف اللغوي، وإنما يتوقف ذلك على القرائن الخارجية^(٢٤).

ومن أمثلة توسيع المعنى: لفظ الورد أصله إتيان الماء، ثم صار إيتان كل شيء ورداً، فقد انتقل معنى اللفظ من المعنى الضيق إلى معنى أوسع وأكثر شمولاً، كذلك لفظ القرب الذي أصله طلب الماء، ثم انتقل إلى طلب كل شيء قريباً فيقال: يقرب كذا، أي: يطلبه^(٢٥). كذلك لفظ (الحكمة) فإن أصله المنع والصرف، يقال حكمت الرجل عن رأيه، أي منعتة وصرفته عن رأيه، لذا سمي من يمنع نفسه ويصرفها عن هواها حكيماً، ثم كثر استعماله في الاتقان والإحكام، فانتقل معناه إليها، ومنه قوله تعالى: ﴿الرَّكُنْبُ أُحْكِمَتْ أَيْنُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمِ خَيْرٍ﴾^(٢٦)، أي أتقنت ثم صار وضع الشيء مكانه حكمة، ومن الحكيم من الأسماء الحسنى أي محكم للعالم الدال على قدرته وعلمه، وهناك أمثلة كثيرة

نلمح منها توسيعاً للمعنى^(٢٧)، ومن ذلك لفظ الكبت من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوتًا كَمَا كَتَبَتِ اللَّيْلِ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٢٨)، وهو في الأصل الصرع للبيدين، ثم استعمل بمعنى الخزي من باب الاتساع في المعنى، وكذلك لفظ الناصية، وهو الموضع الذي يقاد به الفرس، وهي ناصية الرأس فقد اعتادت العرب أن تجر ناصية الأسير دلالة على مسكه وإطلاقه، لأنها موضع الأخذ، ثم أصبح اللفظ معبراً عن مطلق القهر والاستيلاء، حتى وإن لم يمس بالأيدي^(٢٩).

٣. **انتقال المعنى:** وهو تحول معنى اللفظ من مجال إلى آخر عند تعادل المعنيين الحقيقي والمجازي، أو كونهما لا يختلفان من جهة العموم أو الخصوص، كحال انتقال اللفظ من المحل إلى الحال، أو من السبب إلى المسبب، أو من الدال إلى المدلول، أو العكس، وانتقال المعنى يكون بعدة طرائق اصطلاح على تسمية النحاة، كالاستعارة وإطلاق البعض على الكل في المجاز المرسل بوجه عام أو غيرها لعدم وجود اسم للشيء المنقول إليه^(٣٠). فالانتقال الدلالي للفظ يكون من مجال دلالاته إلى مجال دلالة أخرى، لتشابهه وقرب بينهما ولوجود علاقة مناسبة واضحة بين الدالتين، فيقع النقل لبعض أفراد الحقيقة اللغوية كما في لفظ الدابة وتارة لأجنبي عنها، ويقصد بالنقل الأول تخصيص الدلالة، ويقصد بالثاني انتقالها عن طريق المجاز المرسل، حيث يجري هذا النوع من التغير وفق طريقين:

الأولى: عن طريق الاستعارة: ويعتمد الانتقال فيها على المشابهة بين المدلولين، حيث أن العلاقة في مجاز الاستعارة شبه محل الحقيقة لمحل المجاز، وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لمناسبة الشبه بين المدلولين^(٣١).

والاستعارة في اللغة: مأخوذة من العارية، وهي الطلب الذي ينكر على صاحبه، فسميت بالعارية لأنها عار على من يطلبها^(٣٢).

أما اصطلاحاً: فقد عرفت الاستعارة اللفظية بعدة تعاريف نذكر أهمها وأكثرها جمعاً ومنعاً. فقد عرفها الجرجاني: بأنها ادعاء معنى الحقيقة في الشيء مبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين^(٣٣). وعرّفها الخطيب القزويني: ما تضمن تشبيه معناه بما وضع له^(٣٤)، وعرّفها السمرقندي: التشبيه بين الشئيين بدون حرف التشبيه مبالغة في التشبيه^(٣٥). إن الأمر المعتبر هو المشابهة بين ذاتي اللفظ المستعار عنه والمستعار له في المعنى اللازم المشهور، فاستعارة لفظ الأسد للشجاع فيها مشابهة بين الذاتين، الرجل والأسد في المعنى اللازم المشهور في الأسد وهو الشجاعة، فجعل لفظ الأسد مستعاراً للشجاع، أي كأنه هو الأسد حيث أعطى اسمه له، فيقال: فلان أسدٌ، ولا يقال: كالأسد، ليكون إخباراً عن وجود معنى الشجاعة فيه على الكمال كأنه عين الأسد^(٣٦). **الثاني: المجاز المرسل:** وهو انتقال مجال الدلالة من معنى إلى آخر، لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين، فتكون المناسبة بين المعنى الحقيقي والمجازي غير المشابهة، وسمي بالمجاز المرسل لعدم ارتباطه بقيد من القيود، حيث أن الاستعارة مقيدة بادعاء أن المشبه من جنس المشبه به، فكان المجاز المرسل مطلقاً من هذا القيد^(٣٧)، فهو في اللغة: بمعنى الإطلاق، وأرسله أطلقه^(٣٨)، **أما في الاصطلاح:** فهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه، وما وضع له ملائمة غير التشبيه^(٣٩). إن مهمة المجاز المرسل مهمة لغوية، من حيث أن المعنى لذلك للفظ في اللغة هو المعنى نفسه، إلا أنه في الدلالة الثانية عندما يراد به المجاز يكون قد انتقل بتطور ذهني ويتصور متبادر إليه في السياق، فهو لم يتغير عن حاله في المعنى الحقيقي في الاستعمال الحقيقي، وإنما بقي على ما هو عليه، فكانت القرينة صارفة عن هذا المعنى إلى ما سواه في الاستعمال المجازي، وكل مجاز لا بد فيه من علاقة رابطة، فعلاقة المجاز المرسل ضمن طرق المجاز تكون بالملازمة، والسببية، والمسببية، والزيادة والنقصان والكلية والجزئية، واعتبار ما كان وما سيكون، والزمانية والمجاورة، وذكر الشيء وإرادته ما يتعلق بمسماه، والعلاقة الاشتقاقية^(٤٠). ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٤١)، ومعناه ليس مثله شيء فقد جردت الكاف ليتحدد المعنى المراد من سياق النص، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾^(٤٢)، حيث معناه أسأل أهل القرية لتبين المعنى المراد من سياق النص، وفي المثال الأول: واقتضاء الحذف، وفي المثال الثاني: اقتضاء الزيادة^(٤٣).

٤. **التغير المتسامي:** ويعرف برقي الدلالة، وهو القسم الذي يتم فيه استبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولاً، فيحدث هذا التغير لوجود حساسية في بعض اللغات تجاه ألفاظ معينة، ترتبط بمعان لا يحسن التعبير عنها بصراحة لحدة تلك الألفاظ، فتتحول فيه الكلمات عن دلالتها في الأصل كونها وضيفة، أو ضعيفة نسبياً أو اعتيادية، إلى دلالة على معان أرفع وأشرف، أو أكثر قوة وأحوط مفهوماً لدى السامع، وهذا التحول مرتبط بالقيم الاجتماعية؛ لأن لكل مجتمع عادات وتقاليد في حديثه وألفاظه الخاضعة لمعايير الذوق والأدب، إذ تستبدل الكناية بصريح القول فيكنى عما يسيء، وينمق ما يؤلم بمعسول القول، ويستتر ما يستقبح ذكره، وما يؤذي الأحاسيس والمشاعر بأسلوب حكيم، وقد سمى بعض أهل الاختصاص التغير المتسامي بـ (حسن التعبير)؛ لأنه وسيلة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف وقعته^(٤٤). ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾^(٤٥)، فلفظ الغائط اسم لمكان مطمئن من الأرض، وجاء به هنا كناية عن الحدث وما يرافقه من تطهير الفرجين بالماء أو الحجر، وهو ما يسمى استنجاء واستجماراً والاستنجاء في الوضع طلب النجوة^(٤٦)، والاستجمار طلب الجمرة وهو ما يصلح

الاستجمار به من الحجر، فالاشتغال بالكناية ابدال قبح ذكر العورة والنجاسة بلفظ مناسب لا تنفر منه النفوس تطفأ في التعبير عن المعاني، فاستعمل التغير المتسامي المسمى بحسن التعبير لتجنب وقع اللفظ المؤلم والاقتصار على التغير كناية؛ لأن ذكر القبيح لا فائدة له إنما سيق النص لبيان حكم مخصوص وهو الطهارة^(٤٧). ومن أمثله أيضاً لفظ النكاح فقد وضع في اللغة على التداخل، قالت العرب: (نكحت الحصة خف البعير)، أي دخلت فيه، ثم أنتقل كناية عن الجماع، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾^(٤٨)، فالمراد بالنكاح هنا الوطء دون الاشتراك مع سببه وهو العقد، فقد ترفع القرآن الكريم في التعبير عن الجماع بلفظه، فكنى عنه بالنكاح^(٤٩).

٥. **التغير الانحطاطي:** ويسمى إبدال المعنى، من أشكال التغير الدلالي وهو خلاف رقي المعنى، ويكون عند انتقال دلالة اللفظ من الحسن إلى القبح، حيث يصدق التعبير على المفردات نوات الدلالات النبيلة أو الاعتيادية التي ينتابها انحطاط في الدلالة، فيتحول معناها إلى أدنى مما كانت عليه^(٥٠). إن ما يعترى دلالات بعض الألفاظ من تغير نحو الرقي أو الانحطاط في الحقب الزمنية المتباعدة، نابع من تلك العوائد التي هيمنت على مجتمع في حقبة زمنية من الحقب حيث أحدثت في بعض الألفاظ خشونة وبعداً عن الذوق والأدب لم تكن فيها من قبل، أو أنها أحدثت حسنا وعذوبة لم تكن قبلها كذلك، والمطلع على الشعر الجاهلي يجد ألفاظاً كانت مستحسنة عندهم وهي اليوم مستهجنة، وكذلك ألفاظ معاصرة مستحسنة عند المعاصرين لكن الأوائل لا يعرجون عليها، فلكل حقبة زمنية تغير دلالي له أشكاله وأسبابه^(٥١).

ومن أمثلة التغير الانحطاطي: لفظ العلق الذي يدل على ما يعلق بالنفس؛ لصفاته الجميلة، وهو وصف محمود مرغوب فيه، ثم انتقلت دلالاته إلى معنى مستهجن هو من باب السب والمذام، حيث ترتب على قائله حد القذف عند بعض المذاهب باعتبار ما تجدد في من معنى لا يليق ذكره بحق الآخرين^(٥٢).

المبحث الثالث أسباب التغير الدلالي

تعد اللغة العربية من أهم اللغات الحية التي خضعت لظاهرة التغير في دلالات ألفاظها، عما كانت عليه في العصور السابقة، فمعاني الألفاظ التي استعملت في العصر الجاهلي لم تبق على ما دلت عليه من معاني بل لحقها تغير نسبي وهو ما حدث بعد مجيء الإسلام وبعد العصور التي تلتها، حيث تناول علماء اللغة والأصول الأسباب اللغوية والاجتماعية^(٥٣). فنلاحظ أن تغير المعنى له مساس جوهرى بالألفاظ التي شملها التغير، ولا يمكن من معالجة المعنى دون تسليط الضوء على تلك الألفاظ المرتبطة بالمعاني المتغيرة^(٥٤). للتغير الدلالي أسباب عديدة منها لغوية وتاريخية وثقافية ونفسية واجتماعية تتصل بأسلوب حياة مجتمع ناطق وتجاريه المتجددة والمتغيرة، حيث يصعب في كثير من مظاهر التغير فصل بعض هذه الأسباب عن بعضها، للتداخل الحاصل بين اللغة والتاريخ والثقافة والموروث الاجتماعي، التي تعد من أهم العوامل التي تؤثر في حياة الألفاظ أو اندثارها^(٥٥).

إن من أسباب التغير الدلالي:

١. **كثرة الاستعمال:** وقد تنبه اللغويون والأصوليون على أثر شيوع الاستعمال في تغير المعنى، إذ يغلب استعمال اللفظ في مدلوله الجديد، ويكاد ينسى أو يقل استعماله في مدلوله الأول، الأمر الذي دعا الأصوليين إلى تسمية الاستعمال الجديد بالحقيقة العرفية بفعل لغة المجتمع، فنكون الحقيقة العرفية: هي اللفظ الذي انتقل من الموضع الأصلي إلى غيره بغلبة الاستعمال ضمن التغير الدلالي لمعاني الألفاظ^(٥٦).
٢. **الحاجة:** حيث وجدت اللغة يوم احس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم، وأن اللغة تكونت في أحضان المجتمع، فأصل وضع اللغة هو الحاجة إلى تلك الأسماء لإطلاقها على المسميات المختلفة، فإن كانت اللغة توقيفية على رأي القائلين بالتوقيف كان وضع الاسم في الابتداء من المشرع لذلك المسمى لحكمة ومصلحة عرفها، ثم إذا وضع ذلك الاسم لفعل أو حكم شرعي علو ضرورة أن المصلحة قد تبدلت فجاز النقل، وإن كانت اللغة اصطلاحاً على رأي من قال بالاصطلاح، جاز أن ينتقل الاسم اللغوي باختيار المشرع لتتبدل المصلحة الثابتة، فالحاجة أدت إلى وضع الألفاظ وهي نفسها أدت إلى تغيير مدلولاتها؛ لذا يصح أن تتغير اللغات بحسب الدواعي والأغراض، فوضع الأسماء الوضعية تابع للأغراض والمقاصد^(٥٧). إن التغير الذي ينتج عن الحاجة تغير مقصود، لأن الحاجة دفعت اللفظ إلى الانتقال من مدلوله الأول إلى مدلول جديد، ففي مقابله نجد تغيراً غير مقصود يتمثل بالحقيقة العرفية، فهو تغير غير مقصود في اللغة، وإنما هو استعمال مجازي كُتب له الشيوخ والشهرة بين الناطقين جمعهم^(٥٨). إن من أسباب التغير الدلالي اللجوء إلى التلطف في التعبير والتحفظ من اللفظ المبتذل الذي يعزف عنه الذوق والعرف الاجتماعي، فيكنى عنه بألفاظ أخرى أكثر استساغة وقبولاً عند التخاطب فيما بين أفراد المجتمع^(٥٩).

الخاتمة

وفي الختام الخص مفترق ما تناوله البحث، حيث أن التغير الدلالي لا تقل أهميته عن سائر القرائن الموضحة لمعنى اللفظ، أو المخصصة لمعومه أو بيان المعنى المراد حقيقة أو مجازاً، أو تقييد أو إطلاق، ولا يخفى ما أولاه الباحثون في اللغة والبلاغة واللسان والأصول، من أهمية لسبر المعاني وبيان الطرق الموصلة إليها، ليتسنى لكل باحث في هذا الشأن سبيلاً أميناً ترشده إلى مبتغاه حين البحث عن معاني اللفظ وبيان المراد منها، ويؤكد ذلك اهتمام العلماء بهذه التغيرات الدلالية وإدراكهم إياها. فدراسة التغير الدلالي حظيت باهتمام أهل اللغة والبلاغة والأصول، وتعد الدراسات الحديثة نقلة نوعية في جمع ما يتعلق بالتغير الدلالي، للوصول إلى أدق معاني اللفظ، وما يتضمنه من دلالات متعددة، قد نقل عن بعضها فصار منقولاً بكثرة الاستعمال، أو أن الحاجة دعت لتغيير معنى اللفظ. إن منهج البحث للتغير الدلالي يرشدنا إلى وجوب التعامل مع اللفظ على أنه يدل بذاته ومعناه مع مراعاة محيط الكلمة، حيث لا تقتصر القرائن على تخصيص العام فقد يراد باللفظ الخاص معنى العموم إذا ما توافرت القرائن التي منها توسيع المعنى ليصبح اللفظ منقول عن معناه الأصلي. وفي الختام هذا جهد المقل، وحسبي أنني بذلت أقصى ما وسعني الجهد، فإله أسأل أن أكون قد وفقت فيه للتوصل إلى ثمرة نافعة، وأن يمن علينا بفضلته وكرمه وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، هو نعم المولى، ونعم النصير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر

القرآن الكريم.

١. الاستغناء في احكام الاستثناء، القرافي أحمد بن إدريس ت ٦٨٢هـ، تحقيق: طه محسن، مطبعة الإرشاد بغداد- ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢. أسرار البلاغة، الجرجاني عبد القاهر بن عبدالرحمن ت ٤٧٤هـ، تحقيق: هلموت ريتز، ط ٢، استانبول- ١٩٥٤م.
٣. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبدالحميد ناجي، ط ١، المؤسسة الجامعية بيروت لبنان- ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٤. أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة، محمد محسن علي، دار الشؤون الثقافية بغداد، ١٩٨٦م.
٥. الأضداد في اللغة، محمد محسن آل ياسين، ط ١، مطبعة المعارف بغداد، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
٦. الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، محمد بن عبدالرحمن بن عمر ت ٧٣٩هـ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
٧. البحث الدلالي عند الأصوليين، خالد عبود حمودي، زينة جليل عبد، مركز البحوث ديوان الوقف السني بغداد- ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٨. البحث الدلالي عند الراغب الأصفهاني، محمود مصطفى أحمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٩. البحث الدلالي عند الشوكاني، محمد عبدالله علي، رسالة ماجستير كلية الآداب المستنصرية- ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٠. الترادف في اللغة، حاكم ملك لعبيبي، دار الحرية بغداد- ١٩٨٠م.
١١. التصور اللغوي عند الأصوليين، احمد عبدالغفار، ط ١، دار عكاظ، جدة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٢. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، عوده خليل، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٣. تطور المعاني، ياروسلاف، مجلة المهدي للثقافة والفنون، عمان الأردن، السنة الثانية، ١٩٨٥م.
١٤. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي ت ٨١٦هـ، دار الشؤون الثقافية بغداد، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٥. التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، الإسنوي، عبدالرحيم بن الحسن بن علي ت ٧٧٢هـ، تحقيق: محمد حسن هيتو، ط ٣، مؤسسة
١٦. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ط ١٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م.
١٧. دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الاسكندرية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١٨. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ١٩٧٢م.
١٩. شرح تنقيح الفصول أحمد بن إدريس القرافي ت ٦٨٢هـ، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ط ١، دار الفكر القاهرة- ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
٢٠. صاحب في فقه اللغة، ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت لبنان،
٢١. طلبه الطلبة في الاصطلاحات الفقهية على ألفاظ كتب الحنفية، النسفي، عمر بن محمد ت ٥٣٧هـ، دار الطباعة العامرة، ١٣١١هـ.
٢٢. علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانه، مطبعة الرسالة، عابدين، مصر.
٢٣. علم الدلالة احمد مختار عمر، ط ١، دار العروبة الكويت- ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٢٤. علم الدلالة بالمر، ترجمة عبدالمجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية بغداد- ١٩٨٥م.
٢٥. علم الدلالة والمعجم العربي، عبدالقادر أبو شريفة، حسين لافي، داود غطاشة، ط ١، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢٦. علم اللغة العام، توفيق محمد شاهين، ط١، دار التضامن، القاهرة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٢٧. علم اللغة علي عبدالواحد وافي، ط٧، نهضة مصر، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
٢٨. علم اللغة محمود السعران، ت١٩٦٣م، دار المعارف الاسكندرية مصر-١٩٦٢م.
٢٩. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ط٢، دار الفكر لبنان، ١٩٦٤م.
٣٠. فقه اللغة، علي عبدالواحد وافي، ط٤، البيان العربي، ١٣٥هـ-١٩٥٦م.
٣١. لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، عبدالعزيز مطر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
٣٢. لحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ط١، دار المعارف القاهرة، ١٩٦٧م.
٣٣. لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، ت٧١١هـ، دار صادر بيروت-١٩٥٥م.

هوامش البحث

- (١) ينظر التصور اللغوي عند الأصوليين: ٥.
- (٢) ينظر: التطور الدلالي: بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: ٤٥-٥٧، الوجيز في فقه اللغة: ٤٦١-٤٧٣، فقه اللغة وخصائص العربية: ٢٠٦-٢٢٢، لحن العامة والتطور اللغوي: ٥٧-٥٩.
- (٣) ينظر: البحث الدلالي عند الأصوليين: ١٢٣.
- (٤) ينظر: علم الدلالة أحمد مختار عمر: ٢٣٦.
- (٥) ينظر: دلالة الألفاظ: ١٢٣، البحث الدلالي عند الراغب الأصفهاني: ٣٥.
- (٦) ينظر: الوضع والاصطلاح في النظرية اللغوية العربية: ٦٨.
- (٧) ينظر: دلالة الألفاظ: ١٣٤، لحن العامة والتطور اللغوي: ٣٠.
- (٨) ينظر: الوضع والاصطلاح في النظرية اللغوية العربية: ٨٠، الأضداد في اللغة: ٦٥.
- (٩) ينظر: علم اللغة، علي عبدالواحد وافي: ٣١٣، الوضع والاصطلاح في النظرية اللغوية العربية: ٦٨.
- (١٠) ينظر: ميزان الأصول: ٤٥١/١-٤٨٨، دراسة المعنى عند الأصوليين: ١٩٣.
- (١١) ينظر: علم الدلالة أحمد مختار: ٢٤٥-٢٤٦، اللغة فندريس: ٢٥٧-٢٥٨.
- (١٢) ينظر: علم الدلالة أحمد مختار: ٢٤٥، الترادف في اللغة: ٢١-٢٢، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: ٥٣.
- (١٣) ينظر: ميزان الأصول: ١/٥٣٩.
- (١٤) ينظر: شرح تنقيح الفصول: ١١٤-١٢٤.
- (١٥) ينظر: الاستغناء: ٢٨٨، شرح تنقيح الفصول: ٣٨٤، البحث الدلالي عند الأصوليين: ٣٣٩.
- (١٦) ومنه الصِّيرْفِيُّ الصَّرَافُ مِنَ الْمُصَارَفَةِ وَقَوْمٌ صَيَارِفَةٌ وَالْهَاءُ لِلنِّسْبَةِ. يُقَالُ: صَرَفْتُ الدَّرَاهِمَ بِالدَّنَانِيرِ. وَبَيْنَ الدَّرَاهِمَيْنِ صَرَفٌ، أَيْ فَضْلٌ لِحُجُودِ فَضْلةِ أَحَدِهِمَا. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م: ١٧٥.
- (١٧) ميزان الأصول: ١/٥٣٩، طلبة الطلبة: ١١٣-١١٩.
- (١٨) سورة النساء من الآية: ١٩.
- (١٩) سورة المجادلة من الآية: ٣.
- (٢٠) ينظر: الاستغناء: ٦٣٥، شرح تنقيح الفصول: ١٢٤.
- (٢١) ينظر: شرح تنقيح الفصول: ١٦، البحث الدلالي عند الأصوليين: ٣٤٠.
- (٢٢) ينظر: علم الدلالة أحمد مختار: ٢٤٣-٢٤٥، البحث الدلالي عند الراغب الأصفهاني: ٥٢، فقه اللغة، علي عبدالواحد وافي: ٢٢٢.
- (٢٣) ينظر: علم اللغة علي عبدالواحد وافي: ٣٢٠، علم الدلالة أحمد مختار: ٢٤٣، دلالة الألفاظ: ١٥٠-١٥٤.
- (٢٤) ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين: ١٩٧.

- (٢٥) ينظر: الصاحبى في اللغة: ٩٥-٩٦.
- (٢٦) سورة هود الآية: ١.
- (٢٧) ينظر: ميزان الأصول: ١١١/١-٥٣٧-٥٣٨، ٧٩٢/٢-٨٦٩.
- (٢٨) سورة المجادلة من الآية: ٥.
- (٢٩) ينظر: الاستغناء: ٢٥٣-٢٨٩-٢٩٢.
- (٣٠) ينظر: اللغة فندريس: ٢٥٦، علم الدلالة أحمد مختار عمر: ٢٤٧، دور الكلمة في اللغة: ١٨٣.
- (٣١) ينظر: أسرار البلاغة: ٥١، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: ٢٨٥، الترادف في اللغة: ٢٤، الاستغناء: ٣٩١.
- (٣٢) ينظر البحث الدلالي: ٦٤، الأضداد في اللغة: ٦٧.
- (٣٣) التعريفات: ١٩.
- (٣٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٨٠/٢.
- (٣٥) ميزان الأصول: ١/٥٣٥.
- (٣٦) ينظر: ميزان الأصول: ١/٥٣٤-٥٣٥-٥٥٢-٥٥٣، البحث الدلالي عند الأصوليين: ١٣٠-١٣١.
- (٣٧) ينظر: جواهر البلاغة: ٢٩٢، دور الكلمة في اللغة: ١٨٨، البحث الدلالي عند الأصوليين: ١٣١.
- (٣٨) لسان العرب: مادة رسل.
- (٣٩) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/٢٧٠.
- (٤٠) ينظر: ميزان الأصول: ١/٥٢٩-٥٣٢، الاستغناء: ٢٠٦-٢٤٢-٢٧٥، جواهر البلاغة: ٢٩٢-٢٩٣، شرح تنقيح الفصول: ١٨٥.
- (٤١) سورة الشورى من الآية: ١١.
- (٤٢) سورة يوسف من الآية: ٨٢.
- (٤٣) ينظر: ميزان الأصول: ١/٥٢٩.
- (٤٤) ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين: ١٩١، علم اللغة العام، شاهين: ١٤٨، دور الكلمة في اللغة: ١٧٧، علم الدلالة أحمد مختار: ٤٠، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٢٣٣.
- (٤٥) سورة النساء من الآية: ٤٣.
- (٤٦) النجوة في اللغة ما ارتفع من الأرض يقال للوادي وللجبل نجوة، والاستتجاء الطلب، فغن من يقضي الحاجة قد يطلب الجبل أو الوادي ليستتر فيه، والنجو ما يخرج من البطن من ريح وغائط، والاستتجاء الاغتسال بالماء والتمسح بالحجارة من النجو. ينظر: لسان العرب: نجا.
- (٤٧) ينظر: ميزان الأصول: ١/٥٣٢-٥٥٨.
- (٤٨) سورة البقرة من الآية: ٢٣٠.
- (٤٩) ينظر: الاستغناء: ٤٦٠، شرح تنقيح الفصول: ١١٢-١٢٣، علم الدلالة أحمد مختار: ٢٤٨.
- (٥٠) ينظر: دلالة الألفاظ: ١٥٢-١٥٣، دراسة المعنى عند الأصوليين: ١٨٨.
- (٥١) ينظر: الاستغناء: ٢٧٩.
- (٥٢) ينظر: شرح تنقيح الفصول: ١١٢-١٢٣، الاستغناء: ٢٧٩.
- (٥٣) ينظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: ٢٧٩، تطور المعاني: ٥٥، دراسة المعنى عند الأصوليين: ١٠١.
- (٥٤) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ٦٤-٧٢-١٥٢، علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٢٣٦.
- (٥٥) ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين: ٢٠٠، دلالة الألفاظ: ١٤٨-١٦٨، الترادف في اللغة: ٨٠-٨١، علم الدلالة والمعجم العربي: ٥٦.
- (٥٦) ينظر: ميزان الأصول: ١/٥٣٧.
- (٥٧) ينظر: ميزان الأصول: ١/٥٣٧-٥٤٠، المغني: ١٧٢/٥، الاتجاه العقلي في التفسير: ٨٦، اللغة فندريس: ٣٥.
- (٥٨) ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين: ١٠٤، البحث الدلالي عند الأصوليين: ١٣٥.
- (٥٩) ينظر: علم اللغة علي عبدالواحد وافي: ١٦٣، لحن العامة والتطور اللغوي: ٨٥، علم الدلالة بالمر: ١٣، دور الكلمة في اللغة: ١٧٧.